المتونُ العلمية ومدى فاعليتِها في تعليميّة اللّغة العربية

د. يوسف ولد النبية، أستاذ محاضر "أ" ♥

ج. معسكر (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2018.04.24 تاريخ القبول: 2018.06.10

الملخّص: تناولنا في هذه الورقة البحثية موضوع المتون العلمية ومدى فاعليتها في تعليميّة اللغة العربية. وقد عرضنا هذا الموضوع من خلال ثلاثة عناصر رئيسة؛ أما العنصر الأول فتضمّن الحديث عن المتون العلمية من حيث مفهومها وأوزانها وتاريخها. وأما الثاني فقد ناقشنا فيه مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي؛ حيث اختُلف في ذلك بين مؤيِّد لها ورافض. وأما الثالث فقدّمنا فيه مقترحا تطبيقيا في تدريس المتون النحوية من منظور اللسانيات التعليمية. ثم ختمنا هذه الورقة بأهم النتائج المتوصّل إليها.

الكلمات المفتاحية: المتون العلمية ومدى فاعليتها؛ تعليميّة اللغة العربية؛ مقترح تطبيقي؛ اللّسانيات التعليمية.

Résumé*:* Dans cet article, nous avons tenté de mettre en exergue les "moutoun" (corpus) scientifiques et leur efficacité dans l'enseignement de la langue arabe. Pour réaliser ce travail, nous avons présenté trois éléments principaux. Nous avons, dans le premier élément, définit les "moutoun" scientifiques, leurs rimes et leurs histoires. Le deuxième élément est consacré pour discution sur la problématique de l'efficacité du "moutoun" dans la réalisation de l'éducation, un débat qui ne cesse d'être repris. Quant au troisième, nous avons présenté une proposition appliquée pour l'enseignement

♥ **youcefouldennebia@yahoo.fr**

des "moutoun" grammaticales en se basant sur la linguistique éducative. En guise de conclusion, nous avons présenté les résultats les plus importants obtenus.

Mots-clés: les "moutoun" (corpus) scientifiques et leur efficacité; l'enseignement de la langue arabe; proposition appliquée; linguistique éducative..

تمهيد: لا ينكر أحد دور المتون العلمية –على اختلاف تخصّصاتها–في الحركة التعليمية في التاريخ العربي الإسلامي، باعتبارها لونا من ألوان الشعر التعليمي الذي يهدف إلى تسهيل عمليتي تعليم وتعلّم المعارف والعلوم، لا سيما اللغوية منها والشرعية.

على أننا نلاحظ في واقعنا المعاصر عزوفا، يكاد يكون عاما، عن المتون العلمية في العملية التعليمية؛ إنْ في المدارس، وإنْ في الجامعات، على اعتبار أن التدريس عن طريق المتون قد صار جزءا من الماضي، وينبغي الاستعاضة عن هذا الأسلوب التعليمي بالطرائق والمناهج التربوية الحديثة، التي تركّز على الفهم أكثر من الحفظ وعلى تفاعل المتعلّم مع المعرفة أكثر من تلقينها إيّاه. الأمر الذي أدّى إلى نشوب خلاف حول مدى فاعلية المتون العلمية في التحصيل العلمي؛ حيث اختلف المهتمون بالشأن التعليمي في ذلك بين مؤيِّد لها ورافض...

من هذا المنطلق، أردنا أن نناقش في هذه الورقة البحثية موضوع المتون العلمية ومدى فاعليتها في تعليميّة اللغة العربية. وقد عرضنا هذا الموضوع من خلال ثلاثة عناصر رئيسة؛ أما العنصر الأول فتضمّن الحديث عن المتون العلمية من حيث مفهومُها وأوزانها وتاريخها. وأما الثاني فقد ناقشنا فيه مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي؛ حيث اختُلف في ذلك بين مؤيِّد لها ورافض. وأما الثالث فقدّمنا فيه مقترحا تطبيقيا في تدريس المتون النحوية من منظور اللسانيات التعليمية. ثم ختمنا هذه الورقة بأهم النتائج المتوصّل إليها.

1. المتون العلمية: المصطلح والمفهوم

أ. مفهومها: يُطلق المتن في اللغة على ما ظهَر وارتفع وصلُب من كلّ شيء. وقد عرّفه ابن منظور بقوله: "المتن من كل شيء: ما صلُب ظهره، والجمع مُتون ومِتان... والمتن: ما ارتفع من الأرض واستوى، وقيل: ما ارتفع وصلب".[1] أما في الاصطلاح فـ"المتون في العلوم اصطلاح جرى عليه المعلمون يطلقونه على مبادئ فنّ من الفنون تُكثَّف في رسائل قصيرة يستظهرها الطلاب ترسيخا لمسائل العلم في حفظهم وكلما كانت ألفاظها أقل زادت قبولا عند المدرسين، ثم يشرعون بعد استظهار الطلاب لها في شرح ألفاظها وحلّ معقّداتها؛ أسلوب جروا عليه في العصور التي جمدت فيها الملَكات على ما فيه من عناء على (الماتن) والطالب معا. وهذه المتون تكون نثرا وتكون نظما، وقد راج النظم لسهولة حفظه وإن كان التعقيد ألزم لما توجبه مقتضيات الوزن من تقديم وتأخير زيادة على التكثيف".[2]

ويتبيّن من هذا التّوصيف أنّ المتون العلمية مختصَرات علمية، منتقاة الألفاظ موجزة العبارات، تضمّ مبادئ أساسية لعلم من العلوم، تُصاغ نثرا ونظما؛ فمن أمثلة المتون النثرية متن "الورقات" في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني (ت478هـ) ومتن "الآجرّومية" في النحو لابن آجرّوم الصنهاجي (ت 723هـ). ومن أمثلة المتون المنظومة متن "الشاطبية" في القراءات للشاطبي (ت590هـ) ومتن "الألفية" لابن مالك (ت672هـ) الأندلسي في النحو، وما إلى ذلك.

ونشير في هذا المقام إلى أنّ هناك ضربا آخر من المتون، يكون في شكل مقطوعات مركَّزة، تكون ألفاظها بمثابة "كلمات مفتاحية" لموضوع ما، ومن أمثلة هذا الضرب من المتون بيت جُمعت فيه موانع صرف الاسم التسعة في قول أحدهم:

وزنُ المركَّبِ عُجْمَةٌ تعريفُها *** عَدْلٌ ووَصْفُ الجمعِ زِدْ تأنيثا[3]

ولعلّ الرافعي قد أشار إلى هذا الضرب من المتون بقوله: "أمّا الشّعر الذي تُنْظم فيه الضوابط العلمية لسهولة حفظها، فأكثر ما يكون قطعا وأبياتا قليلة، والأغلب فيه أن لا يكون مزاوجا، وقد وقفنا على مثال منه عند العرب، وهو قول "طفيل الغنوي" يصف كيف تزجر الخيل فجمعه في بيت واحد" هكذا قال المبرد...:

وقيل اقدِمي واقْدِمْ وأخَّ وأخرى *** وها وهَلَا واضْبِرْ وقادِعُها هبي"[4]

وهناك من عدّ المختصرات ضربا من المتون العلمية، مثل مختصر الخرقي (ت334هـ)، والفصيح لثعلب (ت291هـ)، واللّمع لابن جني (ت392هـ).[5]

ب. أوزانها: يعدّ بحر الرَّجز (تفعيلاته: مستفعلن × 6)، والمزدوِج منه على وجه الخصوص، أكثر البحور التي نُظمت عليها المتون العلمية، كألفية ابن مالك في النحو وغيرها، وقد قال الرافعي في هذا الشأن: "وهم مجموعون على استعمال هذا النمط من الرّجز الذي يستقل فيه كلّ مصراعين بقافية، حتى لقبوه بحمار الشعر لسهولة الحمل عليه".[6]

وسمّي الرجز رجزا لأنه تتوالى فيه حركة وسكون، ثم حركة وسكون، وهو يشبه في هذا بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن. ويقال لها حينئذ رجزاء.[7] وبهذا المعنى هو كثير الاضطراب؛ وسبب اضطرابه كما –يقول العروضيون–جواز حذف حرفين من كل تفعيلة من تفعيلاته، وكثرة إصابته بالزّحافات والعِلل والشّطر والنّهك والجزء، فهو من أكثر البحور تقلّبا فلا يبقى على حالة واحدة.[8]

والمزدوِج من الرّجز هو الذي يستغني فيه الشاعر عن وحدة القافية في أبيات القصيدة بوحدة القافية بين شطريه، وقد أنكره الخليل، ومثاله قول ابن العتاهية:

إنّ الشّبابَ والفراغَ والجِدَة *** مفسدةٌ للمرء أيّ مَفْسدَة
حسبُك فيما تبتغيهِ القُوتُ *** ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
والفقرُ فيما جاوَزَ الكفافا *** من اتّقى الله رجا وخافا[9]

وبالإضافة إلى بحر الرّجز، الذي غلب نظم المتون العلمية عليه، نجد أيضا بحر السّريع (تفعيلاته: مستفعلن، مستفعلن، مفعولاتُ ×2)، الذي نظم عليه ابن معطي الزواوي (ت628هـ) ألفيته في النحو، جامعا بينه وبحر الرّجز، قال:

لا سيَّما مَشْطورِ بَحْرِ الرَّجْزِ *** إذا بُنِيَ على ازدواجٍ مُوجَزِ
أو ما قد يُضاهيهِ مِنَ السَّريعِ *** مُزدوِجَ الشُّطورِ كالتَّصريعِ[10]

ج. تاريخها: ذهب بعض العلماء إلى أنّ أوّل من نظم المتون العلمية في التاريخ الإنساني "هو "هرمس الحكيم"، الذي يزعم قوم من الصابئة أنه إدريس عليه السلام ويقولون إنّه أول من نظر في الطب وتكلّم فيه، وصنّف لأهل زمانه "كتبا بأشعار موزونة" بلغتهم في معرفة الأشياء العلوية والأرضية".[11]

وإنّ المتتبع للشعر التعليمي عند العرب يجد جذوره تمتد إلى العصر الجاهلي ومن أمثلة ذلك منظومة عَدي بن زيد العِبادي (ت35 ق.هـ)، الذي له نظم في قصة خلق آدم وحواء، وهبوطهما من الجنة، قال في مطلعها:

اسمع حديثًا كما يوما تُحدِّثُهُ *** عن ظهر غيبٍ إذا ما سائلٌ سألا
أنْ كيف أبدى إلهُ الخلق نعمتَه *** فينا وعرَّفنا آياتِه الأُوَلا[12]

غير أنّ الرافعي وجد أنّ الشعر التعليمي قد بدأ مع بِشْر بن المعتمِر (ت220هـ) الذي كان من أروى المعتزلة للشعر، فبنى أرجوزة طويلة ذكر فيها المِلَل والنِّحَل، وضرب الأمثال وأخذ في قواعد مذهبه. وقد ذكر الجاحظ هذه الأرجوزة في كتاب الحيوان مرتين وهو في كل مرة يقول: قال بشر بن المعتمر في شعره المزاوج. وهذه التسمية أليق ما يسمى به هذا النوع من الأراجيز. وقد اشتهر هذا النمط بعد بِشر، ونظم فيه ابن المعتز في أواخر القرن الثالث "بشر الإمام" في أرجوزة طويلة مثبتة في ديوانه. ثم كان حذو المتأخرين في المتون بعد ذلك على منظومة ابن مالك، الذي تبع فيها ابنَ مُعطي. حتى قالوا: نظمُ ابن مالك أجمع وأوعب، ونظمُ ابن معطي أسلس وأعذب.[13]

وهكذا، فقد استهوت المتون العلمية –سواء في صورتها النثرية أم النّظمية–نفرا غير قليل من العلماء، ليتّخذوها أسلوبا في التّصنيف، وطريقة في التدريس، في تخصصات علمية مختلفة، يعرضون من خلالها مسائل العلم عرضا موجزا ومُمنهَجا... وقد انصرف اهتمامهم أكثر نحو العلوم اللغوية والشرعية؛ ومن أمثلة المتون الموضوعة في علوم العربية: "الرّامزة" أو "الخَزْرجية" في علمي العروض والقافية لضياء الدين الخَزْرجي (ت626هـ)، و"الشّافية في علم التصريف" لابن الحاجب (ت646هـ) و"الألفية في علمي النحو والصرف" لابن مالك (ت672هـ)، ومنظومة "عقود الجُمان في علم المعاني والبيان" في علم البلاغة للسّيوطي (ت911هـ)، و"بهجة الطلاب وتحفة القرّاء والكتّاب" في علم الكتابة أو الإملاء للبلاوي (ت1306هـ)، وغير ذلك كثير.

كما أنّ بعضهم انصرف إلى نظم المتون النثرية شعرا، على اعتبار أنّ النَّظم أسهل حفظا من النثر، مثلما صنع في ذلك شرف الدين العمريطي (ت890هـ) الذي نظَم متن "الورقات" في أصول الفقه للجويني، ونظَم متن "الآجرّومية" في النحو لابن آجرّوم الصنهاجي.

2. مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي: لقد كان الهدف من وضع المتون العلمية ترسيخ مسائل العلم في أذهان المتعلمين، وإكسابهم القدرة على الاستظهار والاستحضار، فضلا عن تنشيط الحافظة وتمرينها باستمرار، حتى قيل: "مَن حفظ المتون، حاز الفنون"، وقيل: "مَن حفظ حُجّة على من لم يحفظ"، وغير ذلك من المقولات التي خلقت جوّا تنافسيا بين طلبة العلم في الحفظ والاتقان. وغنيٌّ عن البيان، أنّ التدريس عن طريق المتون نمط تعليمي سار عليه أسلافنا في البلاد العربية والإسلامية ردحا من الزمن، وما زالت بعض المراكز التعليمية تسير عليه إلى يومنا هذا.

على أنّ العلماء قد اختلفوا –قديما وحديثا– في مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي، بين مؤيِّد لها ورافض؛ فأمّا **الرافضون** فقد رأوا أنّ تدريس المتون العلمية منهج صعب في التعلّم، كابن خلدون (ت808هـ)، الذي عقد فصلا في مقدمته سمّاه: "كثرة الاختصارات المؤلَّفة في العلوم مخلّة بالتعليم"، ومما قاله فيه: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها، ويدوّنون منها برنامجاً مختصراً في كلّ علم، يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ، وصار ذلك مخلّا بالبلاغة، وعسراً على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأمّهات المطوّلة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريباً للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه، وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل".[14]

وقد ذكر ابن خلدون سبب فساد التعليم عن طريق المتون أو المختصَرات العلمية بقوله: "وذلك لأنّ فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعدّ لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم كما سيأتي، ثمّ فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، لأنّ ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظّ صالح عن الوقت".[15]

ولقد اتّبع ابن الأزرق (ت896هـ) في كتابه "بدائع المسالك في طبائع الملك" سبيل ابن خلدون في أنّ التدريس بالمتون العلمية عائق يخلّ بعملية التعليم. ومما رآه من مساوئِ كثرةِ الاختصارات أنها توضَع بين يدي المتعلم، وهذا من سوء التعليم. وأنها توجّه الفكر إلى تتبع الكلمات العويصة؛ وفي ذلك هدر للوقت وإبعاد عن الغاية. ويُزاد إلى ذلك كثرة التّكرار والإطالة، ووضع المتعلم في الصّعب وإبعاده عن تحصيل النافع له. وقد استشهد ابن الأزرق بأنّ ابن الحاجب نفسه قال:

"إنّه ربما راجع بعض المواضع من مختصرِه الفقهي فلم يفهمه. وإذ ذاك فما الظنّ بسواه من المختصَرات"؟![16]

وليس غريبا أن تجد هذه الأسباب التي ذكرها ابن خلدون وابن الأزرق صداها في واقعنا التعليمي؛ حيث نجد أغلب الطلاب –فضلا عن كثير من المدرّسين– يفضّلون الفهم والاستيعاب للقواعد العلمية المختلفة –وبخاصة في مجال النحو والصرف والبلاغة–على حفظ المتون العلمية، وتعليلهم لذلك عسر حفظها وصعوبة فهمها.[17]

ويضاف إلى هذا، أنّ التدريس عن طريق المتون، الذي يعتمد على تقديم القاعدة جاهزة للمتعلم، وتلقينها إيّاه، يتعارض مبدئيا مع طريقة التدريس بالكفاءات، التي ترتكز أساسا على المعارف القبلية للمتعلم، والتي تجعل المتعلّم يشغل حيزا معتبرا في العملية التعليمية، ولا يعدو أن يكون المعلم في هذه الطريقة سوى وسيط بين المعرفة والمتعلّم.

وإذا كان ابن خلدون وابن الأزرق قد رفضا التعليم بالمتون على إطلاقه، فإنّ الشيخ البشير الإبراهيمي (ت1965م) رأى أنّ حفظها غير كافٍ لطالب العلم، إذ لابدّ أن يعضدها بفصيح اللغة، الذي ذروة سَنامه القرآن الكريم، قال: "لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كلّ ما يقوّي مادتكم اللغوية، وينمّي ثروتكم الفكرية، ويغذّي ملكتكم البيانية؛ والقرآنَ القرآنَ! تعاهدوه بالحفظ وأحيُوه بالتلاوة".[18]

فكأنّ بالإبراهيمي قد أومأ إلى أنّ حفظ المتون العلمية لا يصنع من صاحبها رجلا بليغا مُبينا؛ لاقتصارها على المصطلحات العلمية المستغلقة من جهة وافتقارها –ربما– إلى الثروة اللغوية –فضلا عن الفكرية– التي من شأنها أن تُنشء مَلَكة لسانية للمتكلم بالعربية من جهة أخرى.

وأما **المؤيّدون** للتدريس عن طريق المتون العلمية فقد رأوا أنّ هذه الطريقة نافعة في التعليم، بل رأوا أنّ حفظ المتون سبيل لحيازة الفنون؛ ذلك لأنّهم يجدون أنّ هذه الطريقة تشتمل على فوائد كثيرة، هي:

أ- في المتون عمق علمي يتجلى في كثرة المعلومات، وتنوعها وترتيبها ترتيبا محكما.

ب- تكوّن لنا المتون صورة مجملة للفنّ الذي أُلّفت فيه، يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن قليل، وما هي إلا مدخل للعلوم.

ج- إنّ العلم الذي في المتون أكثر منه فيما تلاها من المؤلفات الحديثة وأعظم فائدة.

د- هذه المتون يحتاج الدارس لها إلى الصبر والجد والاجتهاد في فهمها، ويكوّن هذا الجد والصبر والاجتهاد ملَكة لا توجد لغير دارسها.

هـ- إنّ الغموض الذي عيبت به المتون ليس مما يعاب، بل هو في الحقيقية مدح لها؛ لأنه لا يستوي من يحصّل العلم بيسر ومن يحصله بمشقة.

و- المتون تجمع حقائق العلم في ورقات يسهل حفظها، ويسهل استحضارها في الدروس والمناسبات.

ز- الذين يحيطون بالمتون ويتقنونها أقرب إلى الابتكار والاجتهاد من غيرهم.

ح- وجود بعض الناس ممن اعتنى بالمتون ولم يفلح، لا يحكم به على الأكثر.

ط- الناظر في تراجم العلماء وكيفية طلب العلم عندهم يدرك صحة هذه الطريقة.

ي- هذا الأسلوب من التصنيف يربي فضيلة البحث والتمحيص، ويعوّد على دقة الملاحظة.[19]

على أنّه من الصعوبة بمكان، التسليم بأحد الرأيين المختلفين، في مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي بشكل عام، وفي التحصيل اللغوي بشكل خاص؛ فمن

جهة نجد أنّ لدارسي المتون العلمية قدرة على استحضار مسائل العلم واسترجاعها من الذاكرة العميقة بسرعة ودونما تفكير، لتميّز الذاكرة العميقة أو الذاكرة طويلة المدى بدوام المعلومة المخزونة، وهذا ما ذهب إليه باحثون في الدراسات النفسية العصبية.[20] لذلك فقد كان حفّاظ المتون العلمية في تراثنا العربي الإسلامي يتميّزون بسرعة استحضار المعلومة واستظهارها، عندما يقتضي المقام ذلك.[21]

ومن جهة أخرى، فإنّ حفظ المتون العلمية ليس دليلا قاطعا على تمكن دارسها من مسائل العلم؛ إذ ليس كلّ من يحفظ متون النحو أن يكون بالضرورة نحويا أو مُعرِبا بل إنّنا نلاحظ –أحيانا– بعض من يحفظ متون النحو يلحن في الكلام! كما أنّ من يحفظ متون الفقه ليس بالضرورة أن يكون فقيها أو من أهل الفتوى. وربما انطبق قول الشاعر على من كان كذلك:

كَالعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظّمَا *** وَالْمَاءُ فَوقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

وتوفيقا بين الرأيين المختلفين في مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي بصفة عامة، وفي التحصيل اللغوي بصفة خاصة، نرى أن نستعين في تعليمية اللغة العربية عن طريق المتون العلمية، ببعض مبادئ اللسانيات التعليمية، كمبدإ التدرج والمبدإ الانتقائي، والمبدإ التفاعلي، وسيتم توضيح هذه المبادئ في العنصر اللاحق.

3. مقترح تطبيقي في تدريس المتون النحوية من منظور اللّسانيات التعليمية:

تُعنى اللّسانيات التعليمية بالطرق والوسائل التي تساعد المعلم والمتعلم على تعليم اللغة وتعلّمها؛ كوضع البرامج، وتعليم المهارات اللغوية، كالاستماع والحديث والقراءة والكتابة. ويتصل بذلك ما يُسمى بالنحو التعليمي الذي يهتم بالجانب الاستعمالي أو الوظيفي من قواعد اللغة. كما أنّ النحو التعليمي يعتمد على معايير خاصة في اختيار المفردات والتراكيب للمتعلم، مثل درجة الشيوع والاستعمال، من

ذلك استعمالنا في المنظومة التعليمية مصطلح التّمييز –وهو مصطلح بصْري–بدل التفسير –وهو مصطلح كوفي–وذلك بسبب شيوع المصطلح الأول أكثر من الثاني.

ولتؤتي المتون النحوية أُكلها في التحصيل النحوي –بما يعصم متعلم العربية من الخطأ في الكلام على الأقلّ–نقترح بعض الخطوات العملية التي يمكن اتباعها في ذلك بما يتوافق مع مبادئ اللّسانيات التعليمية التي ألمحنا إليها:

1– اختيار المتن النحوي –نظما أو نثرا– بحسب مستوى الطالب؛ وفي هذه الخطوة يجدر بنا اعتماد مبدإ التدرج في التعليم، أي: علينا أن نتدرّج في اختيار المتن النحوي من السهل إلى الصعب؛ فمثلا يُستحسن تدريس متن "الآجرّومية" للمبتدئين، و"قَطْرُ النَّدَى وبَلُّ الصَّدَى" للمتوسطين، و"ألفية ابن مالك" للمتخصصين.

2– التعامل الموضوعي مع المتن بحسب البرنامج المقرَّر؛ أي: على المدرّس أن ينتقي مقطعا من المتن النحوي بما يتوافق مع الموضوع المقرّر في البرنامج كموضوع المفعول به أو الحال أو التمييز. وهنا يتمّ الاعتماد على المبدإ الانتقائي بما يفي بالغرض، ففي موضوع الحال –مثلا–ننتقي من متن ألفية ابن مالك قولَه في تعريف الحال:

الحالُ وَصفٌ فضلةٌ مُنتَصِبُ *** مُفهِمُ في حالِ كَفَرْداً أَذْهَبُ

3– كتابة المتن على السبورة بخط واضح أو على اللوح الإلكتروني، مع ضبطه وتشكيله رفعا لأيّ لبس قد يقع فيه المتعلّم.

4– إلقاء المعلّم المتن على طلبته بطريقة شعرية تستميلهم إلى حفظ المتن، أو حفظ جزء منه على الأقل، مركّزا في إلقائه على مخارج الحروف وصفاتها، ثمّ يطلب من بعض المتعلمين قراءة المتن، مع تصويبه لأخطائهم في حال حدوثها.

5– شرح المصطلحات والكلمات الصعبة الموجودة في المتن بما يفي بالغرض.

6- يُطلب من المتعلّم استخراج القاعدة أو الحكم النّحوي من المتن، وهذه طريقة تفاعلية تجعل المتعلم شريكا في العملية التعليمية، ولا يُنظر إليه على أنه وعاء تُخزَّن فيه المعلومات.

7-تكليف المتعلّم بالإتيان بمثال ينسجم مع القاعدة المستخلصة من المتن، وهذه الخطوة من شأنها أن تربط فكر المتعلم بالقاعدة المستخلصة من المتن النحوي ويكون المتعلم، عندئذ، متفاعلا إيجابيا، لا متلقيا سلبيا في تعلّمه.

خاتمة: لقد تبيّن من خلال ما سبق، أنّ المتون العلمية مختصَرات علمية موجزة الألفاظ والعبارات، تضمّ مبادئ أساسية لعلم من العلوم، ظهرت في القرن الثاني للهجرة –على الأرجح–في شكل مختصرات نثرية، ومنظومات على بحر الرّجز في الغالب.

كما تبيّن أنّ بعض العلماء والدارسين قد اختلفوا في مدى فاعلية المتون في التحصيل العلمي؛ اللغوي وغير اللغوي؛ فمنهم من رأى أنها مُخلّة بالتعليم، ومنهم من رأى أنها ذات فوائد جمّة. وقد رأينا أنّه من الصعوبة بمكان التسليمُ بأحد هذين الرأيين... وتوفيقا بينهما رأينا أن نستعين في تدريسنا للغة العربية عن طريق المتون العلمية ببعض معطيات اللسانيات التعليمية ومبادئها، كالاعتماد على مبدإ التدرج، والمبدإ الانتقائي والمبدإ التفاعلي. عسى هذه الطريقة أن تؤتيَ أُكلَها في التحصيل العلمي للعربية وتُنشء لمتعلّم العربية مَلَكة لغوية تمكّنه من التعبير السليم، والتواصل الناجع.

المصادر والمراجع

1- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1988م

2- ابن معطي الزواوي: الدرة الألفية (ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة)، ضبطها وقدّم لها: سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة 2010م

3- ابن منظور: لسان العرب مادة (خطأ)، دار صادر، بيروت، 2003م

4- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، تح: محي الدين عبد الحميد دار رحاب، الجزائر، (ب ت)

5- أبو راس الناصري: فتحُ الإلهِ و مِنّتُه في التحدّث بفضل ربي و نعمتِه، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م

6- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: د. أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997

7- المكودي: شرح الألفية في علمي النحو والصرف: دار رحاب، الجزائر (ب ت)

8- سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، (ب ت)

9- عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق؛ تحليل وتحقيق دار إقرأ، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، ص108

10- عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: الدليل إلى المتون العلمية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1420هـ/2000م

11- عدي بن زيد العِبادي: الديوان، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيْبد، شركة دار الجمهورية، بغداد، 1385هـ/1965م

12- لورون بوتي: الذاكرة، أسرارها وآلياتها، ترجمة: د. عز الدين الخطابي مراجعة: فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 1433هـ/2012م
13- محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م
14- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ط1 1997م

الهوامش:

[1] ينظر: لسان العرب مادة (متن)، دار صادر، بيروت، 2003

[2] سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، (ب ت)، ص180

[3] ابن هشام الأنصاري: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، تح: محي الدين عبد الحميد دار رحاب، الجزائر، (ب ت)، ص339

[4] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، 1997 ص138

[5] عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: الدليل إلى المتون العلمية، ص68

[6] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 137/2

[7] عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: الدليل إلى المتون العلمية، ص68

[8] محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م، ص79

[9] م،ن، ص81

[10] الدرة الألفية (ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة)، ضبطها وقدّم لها: سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة، 2010م، ص17

[11] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص139

[12] ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية بغداد، 1385هـ/1965م، ص158

[13] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 138/2

[14] المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص331

[15] م،ن، ص331

[16] ينظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق؛ تحليل وتحقيق، دار إقرأ، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، ص108

[17] أجرينا استبيانا خاصا بالاختيار بين حفظ المتون وفهم القواعد لواحد وثلاثين طالبا في قسم الماستر "تعليمية اللغة العربية" بجامعة معسكر في السنة الجامعية 2017/2016؛ حيث فضّل أغلبهم (ثمانية وعشرون طالبا) فهم القواعد على حفظ المتون بينما فضّل الباقي (ثلاثة طلبة) حفظ المتون وفهمها.

[18] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، 204/3

[19] عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: الدليل إلى المتون العلمية، ص71 وما بعدها

[20] نشير في هذا الشأن إلى أنّ باحثين في الدراسات النفسية العصبية قد ذهبوا إلى أنّ الذاكرة، تبعا لمدة الذكرى، تنقسم إلى ثلاثة مكوّنات؛ وهي: الذاكرة الحسية، والذاكرة ذات المدى المتوسط، والذاكرة ذات المدى الطويل؛ وحسب هذا التقسيم تباشر المعلومة الحسية بولوج الذاكرة الحسية لمدة قصيرة جدا، تُقدّر ببضع مئات الأجزاء من الألف من الثانية، بعد ذلك تستقبل الذاكرة ذات المدى المتوسط معلومات منتقاة، مستمدة من الذاكرة الحسية، لمدة لا تتعدى عشرات الثواني وأخيرا فإنّ الذاكرة ذات المدى الطويل تتميز بدوام المعلومة المخزونة واستعادة معنى الشيء الذي يتعين تذكره. أنظر: لورون بوتي: الذاكرة، أسرارها وآلياتها، ترجمة: د. عز الدين الخطابي مراجعة: فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1 1433هـ/2012م، ص28 وما بعدها

[21] من الأمثلة التي تبيّن قدرة حافظ المتن على سرعة استحضاره للمعلومة، طريفة حدثت لأبي راس الناصري المُعَسْكَري الجزائري (ت1238هـ/1823م) مع بعض علماء الأزهر، قال: "اجتمعتُ مع علماء بالجامع الأعظم، وتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمّة، قالوا لي: من لُقّب بالحافظ، لابد أن يختص بشيء دون غيره، وأنت ما تحفظ؟ فقلتُ: أحفظ كذا وكذا متنا من سائر العلوم... فشرعوا في امتحاني، وتزييف مكانتي ومكاني، فأخرج أحدهم الألفية، وفتحه من آخره فخرج له "باب التصغير"، فقال لي: كم فيه من بيت؟ فقلت: فيه اثنان وعشرون بيتا فحسبوه فوجدوه ثلاثة وعشرين، فصاحوا، وضحكوا، وأرادوا تزييف نقدي، وتكذيب ما عندي قلت: ناولوني الكتاب، فأخذته وطالعته، فإذا فيه بيت من جمع التكسير أُدخلت فيه سهوا من الكاتب وتأملتها، فإذا في أولها "خاء" بالحمرة لا يدركها إلا المتأمل، وكذلك "طاء" إشارة إلى أنها هنا خطأ، كما هي عادة الطلبة، فرأوا ذلك، ولم تطب أنفسهم، حتى رأوا تلك البيت بذاتها في جمع التكسير.. فألقوا السَّلَم، واعترفوا لي بالفضل والنّبل". أبو راس الناصري: فتحُ الإلهِ و مِنّتُه في التحدّث بفضل ربي ونعمتِه، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م، ص116، 117.